

إشكالات تلقّي مصطلحات المنهج السيميائي وتطبيقاته في النقد المغربي المعاصر (قراءة في المنتج النقدي السيميائي لعبد المالك مرتاض نموذجاً) .
Problems receiving the terms of the semiotic approach and its applications in contemporary Maghreb criticism (A reading of the semiotic critical product of Abd al-Malik Murtad as a model).

د . محمّد الحبيب منّادي¹ ، ط . د . مرسلي فايزة²

¹المركز الجامعي الشريف بوشوشة آفلو (الجزائر) ، m.menadi@cu-
aflou.edu.dz

²المركز الجامعي الشريف بوشوشة آفلو (الجزائر) ، f.morsli@cu-
aflou.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2023/05/17 تاريخ القبول: 2023/08/15 تاريخ النشر: 2023/10/10

ملخص:

يُعرّف المصطلح على أنّه " اللفظ أو العبارة أو الرّمز الذي يعيّن مفهوماً ، مجرداً أو محسوساً ، داخل مجال من مجالات المعرفة " ، غير أنّ هذا التعيّن يعرف اضطراباً كبيراً في استعمال الوافد منه بسبب ما تعرفه هذه المصطلحات من إشكالات التّرجمة ، وإشكالات ما يعرفه تكييف المصطلح الوافد باعتماد قواعد (التّعريب ، والنّحت ، والاشتقاق ...) . فضلاً عن إشكالات التّنزاع القطري للمصطلح الواحد ، وما يُعانيه في سبيل التّوحيد المصطلحي وتوحيد المعرفة التي تعتبر فيه المصطلحات " مفاتيح العلوم " .

ويأتي هذا البحث ليتناول إشكالات تلقّي مصطلحات المنهج السيميائي وتطبيقاته في النقد المغربي المعاصر بقراءة في المنتج النقدي السيميائي لعبد المالك مرتاض نموذجاً ، باعتباره أحد المهتمين بهذا المنهج ومصطلحاته الوافدة من جهة ، وما له من تطبيقات باعتماده منهجاً لتحليل الخطاب ، ومركّزاً للقراءة

النّاقدة .ويدور هذا المبحث في فلك المحور الخامس المتعلّق بـ : مصطلحات المناهج النّقديّة المعاصرة ، ومنها " المنهج السّيميائي " لندرس من خلاله : إشكالات مصطلحات التّحليل السّيميائي ، ومستويات القراءة النّاقدة ، وذلك بالمزج بين الكتابة التّحليليّة والكتابة الإبداعيّة ، ضمن مصطلحي القراءة والتلقّي ، وباعتبار الإبداع (قراءة أولى) والنّقد (قراءة ثانية) الكلمات المفتاحية : المصطلح ، النّقد ، المنهج ، السّيميائيّات ، السيميولوجيا ، عبد الملك مرتاض .

Abstract:

Terminology is known to be very confused in use due to the problems of translation, the problems of terminological unification and the unification of knowledge, as the terms are considered "the keys to science".

This research seeks to study the problems of receiving the terms of the semiotic approach and its applications in contemporary Maghreb criticism.

This is done by reading the semiotic critical writings of Abd al-Malik Murtad as an example.

We also study in this research the problems of the semiotic approach and the problems of the terminology of semiotic analysis, according to Abd al-Malik Murtad.

Keywords: Terminology; semiotics; method; semiology; Abd al-Malik Murtad.

المؤلف المرسل: د . محمّد الحبيب منّادي

إشكالات تلقّي مصطلحات المنهج السِّيميائي وتطبيقاته في النّقد المغاربي المعاصر
(قراءة في المنتج النّقدي السِّيميائي لعبد المالك مرتاض نموذجاً) .

مقدمة :

تعرف العديد من العلوم اهتماماً بالغاً بدراسة المصطلح ، الذي يُعتبر موضوعها ، بالإضافة إلى ما يتعامل به العلم ذاته من مصطلحات تميّزه عن غيره من العلوم ، وهي : علم صناعة المعجم ، علم المفردات ، علم المُصطلح . وقد بُذلت في هذه العلوم الثلاثة جهود كبيرة في وضع المصطلحات ونشرها وتحديثها . وقد بدأت الأبحاث المصطلحيّة تأخذ طابعها الحقيقي على المستويين النّظري والتّطبيقي في بداية العقد الثّالث من القرن العشرين تحت تأثير أفكار المهندس النّمساوي (أوكن فوستر) (Eugen Wuster) / أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحيّة : [2005 م] ، [04] . أمّا العناية بدراسة الظّاهرة المصطلحيّة والاهتمام بأبعادها المعرفيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة فلم يتحقّق إلّا في العصر الحديث نظراً لما عرفه مجال المصطلحات من نموّ متزايد بوتيرة سريعة نتيجة القفزات النّوعيّة التي عرفتها مختلف أصناف المعارف والاختراعات ، علاوة على التوسّع الهائل الذي شهدته المبادلات الاقتصاديّة والعلاقات السّياسيّة ووسائل الإعلام المسموعة والمكتوبة والمرئيّة .

ومع تطوّر العلوم وازدياد التّواصل الإنساني وحاجة الإنسان إلى التّرجمة الفوريّة عند عقد المؤتمرات والملتقيات العلميّة الدّوليّة ، ومع اتّساع آفاق التّواصل الإنساني ، اشتدّت حاجة المصطلحيّين إلى وضع المصطلحات الجديدة وترجمتها ، واشتدّت الحاجة عند علماء العربيّة لضبط المصطلحات الجديدة ومتابعة ما يستجدّ من إنشائها وتعميمها ، وذلك بالاعتماد من علوم اللغة : كالاشتقاق ، والنّحت والتّعريب ... فضلاً عن متطلّبات التّقييس العالميّة .

وفيما يأتي من هذا البحث سنتناول إشكالات تلقّي مصطلحات المنهج السِّيميائي وتطبيقاته في النّقد المغاربي المعاصر بقراءة في المنتج النّقدي السِّيميائي

د . محمّد الحبيب منّادي ، ط . د . مرسلّي فايزة

لعبد المالك مرتاض نموذجاً ، وذلك في قسمين : يتناول القسم الأوّل المفاهيم المصطلحيّة ببيان تعريف المصطلح ونشأته وأهميّته ، مع عرض إشكالات المصطلح عموماً ، وكذا التّعريف بمصطلح " السّيميائيّة " . وتتناول في القسم الثّاني : المنتج النّقدي السّيميائي لعبد المالك مرتاض بعرض جهوده في السّيميائيّة (نظرياً وتطبيقيّاً) وطرح إشكالات تلقي مصطلحاته بالحديث عن بعض الإشكالات التي يذكرها فيما يتعلّق بالتحليل النّقدي السّيميائي ...

القسم الأوّل : المفاهيم المصطلحيّة :

01 - نشأة علم المصطلح :

يُعدّ علماء الحديث النّبوي الشّريف أوّل من استخدم لفظ " مصطلح " في مؤلّفاتهم ، ومن هذه المؤلّفات في مصطلح الحديث منظومة " أحمد بن فرج الإشبيلي " (وهو من أهل القرن السّابع الهجري) ، التي جاء في أوّلها :
غَرَامِي "صَحِيحٌ" وَالرَّجَا فِيكَ " مُعْضِلٌ " **وَحَزْنِي وَدَمْعِي " مُرْسَلٌ " وَ " مُسْلَسَلٌ .
ويُمكن ملاحظة أنّ الكلمات الموجودة بين علامات التّنصيص (أي الصّحيح والمعضل والمرسل والمسلسل) كلّها مصطلحات من علم الحديث ، وهي تدلّ على أنواع مختلفة من الحديث النّبوي الشّريف. والتي يعرف بها صحّة الحديث أو ضعفه أو ما يتعلّق به ... ومن هذه الكتب التي تحمل لفظ المصطلح في عنوانها كتاب : " أطيب المنح في علم المصطلح " ، وهو في مصطلح الحديث أيضاً . وإنّ دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على وجود هذا اللفظ عند علماء العربيّة الأوائل ممّا كان اهتمامهم الأوّل بالنصّ القرآني وأحاديث رسول الله صلّى الله عليه وآله .
ليعرف " علم المصطلح " - مع الوقت - اهتماماً بالغاً وذلك لضرورة هذا العلم من جهة ، وكثرة العلوم وسرعتها من جهةٍ أخرى ، فضلاً عمّا يفرضه احتكاك اللغات من ضرورة وضع المصطلح وإدخاله للغة العربيّة لتساير محدثات العلوم ومخترعاته .

إشكالات تلقى مصطلحات المنهج السيميائي وتطبيقاته في النقد المغربي المعاصر
(قراءة في المنتج النقدي السيميائي لعبد المالك مرتاض نموذجاً).

02 - تعريف علم المصطلح ونطاقه :

رأينا منذ قليل السَّبق العربي في التعبير بلفظ المصطلح ، ولم يكن هذا السَّبق بمعزل عن تعريف المصطلح ذاته ، فقد قال " الجرجاني " (ت 816 هـ) في تعريف الاصطلاح الوارد في كتابه (التَّعْرِيفَات) : « عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشَّيء باسمٍ ما، يُنقل عن موضعه » ، ثم أضاف وكأنَّه يتحدث عن بعض طرائق وضع المصطلح : « إخراج اللفظ من معنى إلى آخر، لمناسبة بينهما » / الجرجاني : [1983 م] ، [28] . ومن ذلك أنَّ " أبا البقاء الكفوي " (ت 1094 هـ) قد عرَّف المصطلح في كتابه (الكَلِّيَّات) بقوله : « الاصطلاح هو اتِّفاق القوم على وضع الشَّيء ، وقيل : إخراج الشَّيء عن المعنى اللغويِّ إلى معنى آخر لبيان المراد » [الكفوي : [1992 م] ، [129] . وهو في تعريفه هذا لا يخرج عن المعنى المقرَّر له اصطلاحاً ، بل هو يدور في فلكه ، إذ يدلُّ " المصطلح " أو " الاصطلاح " على " اتِّفاق أصحاب تخصُّص ما على استخدامه للتَّعبير عن مفهوم علميٍّ محدَّد " .

وهو ما يقارب تعريف " مرتضى الزَّبيدي " (ت 1205 هـ) في معجمه (تاج العروس) بأنَّه : « اتِّفاق طائفة مخصوصة على أمرٍ مخصوص » [الزبيدي : [؟] ، (مادَّة صلح)] . وهو بهذا التَّعريف يُخصِّص الدَّلالة المعجميَّة التي تكون في الأصل اللغوي ، فكلمة " تاج " مثلاً صارت " مصطلحاً " عند استعمال فئة محدَّدة له وهم أطباء الأسنان في الدَّلالة على أنَّ هذا المصطلح يعني جزءاً من الضَّرس وهو أعلاه وظاهره ، فخرجت بذلك عن الدَّلالة التي تُفهم للتَّاج الذي يضعه الملك مثلاً.

ويُعدُّ " علم المصطلح " أحدث أفرع علم اللغة التَّطبيقي ، وهو يتناول الأسس العلميَّة لوضع المصطلحات وتوحيدها . ويُعرَّف أيضاً بأنَّه : « العِلْم الذي

د . محمّد الحبيب منّادي ، ط . د . مرسلّي فايزة

يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلميّة والألفاظ اللغويّة التي تعبّر عنها « / قشمر: [2019 م] ، 80] . وهو لا يخرج عن المعنى السّابق إذ لا يعدو كونه اتّفاقاً لفئة معيّنة في وضع المفاهيم العلميّة بإيجاد العلاقة بينها وبين المتاح من ألفاظ اللغة . وقد عرّفت " المنظمة العالميّة للتّقييس " (ISO) المصطلح بأنّه : « الدّراسة العلميّة للمفاهيم والمصطلحات المستخدمة في اللغات الخاصّة » [مقران: 36] . ويمكن أن نستقرّر على تعريفه بالآتي : « المصطلح هو اللفظ أو العبارة أو الرّمز الذي يعيّن مفهوماً ، مجرّداً أو محسوساً ، داخل مجال مجالات المعرفة » [أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحيّة: 2005 م] ، ص : 26] .

03 - أهميّة المصطلح :

المصطلحات هي " مفاتيح العلوم " على حدّ تعبير " الخوارزمي " . وقد قيل إنّ " فهم المصطلحات نصف العلم " ، لأنّ المصطلح هو أحد أركان العلم الثلاثة (الموضوع ، المصطلح ، والمنهج) . كما أنّ لفظ المصطلح يُعبّر عن " مفهوم " ، والمعرفة لا تعدو كونها مجموعةً من " المفاهيم " التي يرتبط بعضها ببعض في شكل منظومة . وقد ازدادت أهميّة المصطلح وتعاظم دوره في المجتمع المعاصر الذي أصبح يوصف بأنّه " مجتمع المعلومات " أو " مجتمع المعرفة " ، حتّى أنّ الشّبكة العالميّة للمصطلحات في فينا بالنّمسّا اتّخذت شعار : " لا معرفة بلا مصطلح " [مراياتي: 2004 م] . وتأتي أهميّة " المصطلح " وتوحيده في توحيد المعرفة بما يدلّ عليه ذلك المصطلح ، ولهذا نجد أنّ أوّل قطاع اهتمّ بالمصطلحات هو قطاع الخدمات الاقتصاديّة ، ذلك أنّ ضمان وثوق المستهلك لـ " الهمبوركر " (Hamburger) مثلاً بأنّه منتج واحد ، لا تختلف جودته في فرنسا أو في روسيا عن جودته المعروفة في أمريكا ، لا يُمكن أن يتأتّى إلّا بتوحيد تسميته . ليُصبح المصطلح بعد هذا هاجساً حقيقياً في السياسات اللغويّة للحفاظ على الهوية الوطنيّة والثّقافيّة والدينيّة ...

إشكالات تلقى مصطلحات المنهج السيميائي وتطبيقاته في النقد المغربي المعاصر
(قراءة في المنتج النقدي السيميائي لعبد المالك مرتاض نموذجاً) .

04 - عرض إشكالات المصطلح عموماً :

تتجلى أبرز إشكالات المصطلح في " توحيده " ، ولهذا يُحَدِّد المصطلحيون وواضعو المصطلح ، اختصاص المفهوم العلمي الواحد بمصطلح واحد ، لما يفرضه المجال العلمي من دقة المفاهيم العلمية وضبطها ، ولهذا كان دأهم التَّخْلُص من استعمال التَّرادف والاشتراك اللفظي لما يُمكن أن يُسبِّبه ذلك من تشويش دلالي محتمل ، نتيجة اشتراك لفظين في معنى واحد ، ومن الأمثلة التي يُمكن أن نضربها في بيان ذلك - ممَّا يعكس تفضُّن علماء العربيَّة إلى وجوب ضبط المصطلح بدلالة محدَّدة تُميِّزه عن غيره من المفردات التي تحمل معنى قريباً جداً منه - الترادف الموجود بين كلمة (مترجم) وكلمة (ترجمان) ، اللذان يطلقان على من يقوم بنقل النُّصوص من لغةٍ إلى أخرى . وقد لجأ المختصُّون إلى اعتماد التَّرادف الموجود في اللغة العربيَّة فجعلوا لفظ (المترجم) اصطلاحاً على المترجم التَّحريري (التَّرجمة الكتابيَّة) وجعلوا لفظ (ترجمان) اصطلاحاً على المترجم الشَّفوي الفوري (التَّرجمة الشَّفويَّة) . واستندوا في ذلك على تراث العرب اللغوي ، ومن ذلك استنادهم إلى قول " النابغة الذبياني " :

إِنَّ الثَّمَانِينَ ، وَبُلْغَتْهَا ** قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَان

فجعلوا مصطلح التَّرجمان لمن يقوم بالتَّرجمة الشَّفويَّة - كما ذكرنا منذ قليل - ومصطلح المترجم لمن يقوم بالتَّرجمة الكتابيَّة . ومن واقع هذا المثال يُمكننا القول إنَّه بالإمكان الاستفادة من التُّراث اللغوي في ضبط المصطلح ، باختيار ما يتناسب والمعنى المقصود ووضع لفظ واحدٍ له لا يشركه في دلالته غيرته .

05 - الصِّناعة المصطلحيَّة وعلم المفردات :

ذكرنا في مبتدأ هذا البحث عناية بعض العلوم وعظيم اهتمامها بالمصطلح ومن ذلك علم المفردات وعلم المعجم ، فضلاً عن استقلال " علم المصطلح "

د . محمّد الحبيب منّادي ، ط . د . مرسلّي فايزة

بموضوعه ومنهجه ، وقد استخدم في الدِّراسات العربيّة عدّة مترادفات للدّلالة على دراسة المصطلحات وتوثيقها ، مثل : المصطلحيّة ، وعلم المصطلح ، وعلم الاصطلاح ، وعلم المصطلحات ، والمصطلحاتيّة ، ... إلخ . وعند العودة إلى الدِّراسات الغربيّة التي تتناول علم المصطلح الحديث ، نجد أنّها تفرّق بين فرعين من هذه الدِّراسة :

الأوّل هو : (Terminology/Terminologie) ،

والثاني : (Terminography/Terminographie) .

فالأوّل: هو العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلميّة والمصطلحات اللغويّة، والثّاني: هو العمل الذي ينصب على توثيق المصطلحات، وتوثيق مصادرها والمعلومات المتعلّقة بها، ونشرها في شكل معاجم مختصّة، إلكترونيّة أو ورقية. وهو التّعلّق الذي نجده في دلالة العلمين الباقيين (علم المفردات والصّناعة المعجميّة): فعلم المفردات : يهتمّ ب : اشتقاق الألفاظ ، وأبنيتها ، ودلالاتها المعنويّة والإعرابيّة ، والتّعبير الاصطلاحيّة ، والمترادفات ، وتعدّد المعنى ... في حين تهتمّ الصّناعة المعجميّة ب : جمع المعلومات والمفردات ، واختيار المداخل اللغويّة ، وترتيبها وفق نظام معيّن ، وإعداد النّصّ للكتابة ، وتنقيحه من قبل مختصّين ومعجميّين ومصطلحيّين ولسانيّين ، ثمّ نشر النّتاج العلمي .

06 - التّعريف بالسّيميائيّة وبعض مصطلحاتها :

تعدّ المناهج النّقديّة المعاصرة وسائل وأدوات مساعدة على سبر أغوار الظّاهرة الأدبيّة وليست غايةً في حدّ ذاتها، ففي البدء كان الخطاب الأدبي ثمّ كانت الممارسة النّقديّة ، التي لازمتها وتطوّرت إلى مناهج النّقْد المتنوّعة "سياقيّة" كانت أو "نصّانيّة" من خلال البحث عن مقصديّة الكاتب ، واستقصاء تجلّيات الخطاب الأدبي، واستقراء الظّواهر الفنيّة ، الفضاءات النّصّيّة داخل العمل الأدبي . ومن بين هذه المناهج وأبرزها " المنهج السّيميائي " ، وتأتي أهمّيّته من كون

إشكالات تلقّي مصطلحات المنهج السيميائي وتطبيقاته في النّقد المغربي المعاصر
(قراءة في المنتج النقدي السيميائي لعبد المالك مرتاض نموذجاً) .

اللغة ذاتها ذات بعد سيميائي . وفي هذا المعنى يقول " دوسوسير " : إنّ المشكلة اللسانية هو سيميائي قبل كلّ شيء .

ومنذ الستينيات ومجال علم السيمياء يُظهر نشاطاً متزايداً على كافّة الصُّعَد . ففي أكثر من بلد أخذت تتألف جمعيات تُعنى بهذا العلم ، أقدمها : (الجمعية الدّولية للدراسات السيميائية (1969 م) : (International Association for Semiotic Studies) . ولا ريب أنّ من الدّوافع التي دعت إلى تعاظم الاهتمام بالسيمياء هو تشعُّب الموضوعات التي يتناولها هذا العلم . فهناك من يُدرج العلامات التي يستعملها الحيوان تحت هذا العلم ، بل إنّ البعض يذهب أبعد من ذلك في توسيعه لمجال السيمياء ، ليشمل الاتّصال ما بين الخلايا الحيّة (Bionique) وحتى الاتّصال ما بين الآلات (Cybernétique) / فاخوري : / 1990 م ، 07 - 08 .

07 - معنى السيميائية اصطلاحاً :

السيميائية أو السيميولوجيا هي : " دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية " . وهي في حقيقتها " كشف واستكشاف لعلاقات دلالية غير مرئية من خلال التّجلي المباشر للواقعة ، إنّها تدريب للعين على التقاط الضمّني والمتواري والمتمنّع ، لا مجرد الاكتفاء بتسمية المناطق أو التّعبير عن مكونات المتن " [بنكراد : 2012 م ، 15] .

القسم الثّاني : المنتج النقدي السيميائي لعبد المالك مرتاض وإشكالات تلقّي مصطلحاته .

عرفت السيميائيات اهتماماً بالغاً من قبل الباحثين على اختلاف تخصّصاتهم ، وذلك لانتساع مجالها المعرفي الذي يشمل حقولاً معرفيّة متعدّدة ، وتأتي البحوث اللغويّة في مقدّمتها هذه المعارف ، وقد أثبتت السيميائيات قدرتها

د . محمّد الحبيب منّادي ، ط . د . مرسلّي فايزة

المنهجية على تحليل مختلف النصوص لاعتبار اللغة في ذاتها علامة سيميائية ، مما جعلها في مقدّمة المناهج المعتمدة عند النقاد لطواحيها الإجرائية ، لتستوعب بذلك اهتمام الكثير من النقاد في العالم العربي ، وكذا النقاد على السّاحة الجزائرية . ويأتي الناقد الجزائري " عبد الملك مرتاض " في مقدّمة النقاد الجزائريين الذين أوّلوا السّيميائيات الاهتمام البالغ ، فانعكس ذلك على مجموع دراساته وبحوثه النقدية ، تنظيراً وتطبيقاً . واتّسع المنجز النقدي عند " عبد الملك مرتاض " جعل مدوّناته النقدية هي موضوع بحثنا في هذا المقال ، لسبقه في مجال البحث السّيميائي تنظيراً وتطبيقاً ، وكثرة تأليفه في ذلك.

وتشير الباحثة " سامية طواهرية " إلى هذا السّبق عند " عبد الملك مرتاض " فتقول : « وانتقل هذا الاهتمام بالنّظرية السّيميائية إلى السّاحة النقدية العربية، مغطياً على سائر الاتجاهات النقدية - خلال الثّمانينات - من بوابة المغرب العربي ، وكان للسّاحة النقدية الجزائرية حظّها من الإسهام في هذا المجال ، على يد نخبة من المثقّفين والنقاد والباحثين الجامعيين ، وعلى رأسهم (عبد الملك مرتاض) رائد تأسيس المشهد الحداثي في الخطاب النقدي الجزائري «/طواهرية : [2015 م] ، ب . حيث ساهم في المجال السّيميائي بالتأليف فيه نظرياً وتطبيقياً ، وقد تجلّى المنجز السّيميائي التّطبيقي عنده في بحوث عديدة ، نذكر منها :

- 1 - ألف ليلة وليلة : تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد (1989 م).
- 2 - التّحليل السّيميائي للخطاب الشّعري ، معالجة مستويات لقصيدة " شناشيل ابنة الجلي " (2001 م) .
- 3 - السّبع المعلّقات (تحليل أنثروبولوجي سيميائي لشعرية نصوصها) (1999 م).
- 4 - نظام الخطاب القرآني (تحليل سيميائي مرّكب لسورة الرّحمن) (2001 م).

إشكالات تلقى مصطلحات المنهج السيميائي وتطبيقاته في النقد المغربي المعاصر
(قراءة في المنتج النقدي السيميائي لعبد المالك مرتاض نموذجاً).

5 - رحلة نحو المستحيل (تحليل سيميائي مركّب لقصيدة "رحلة المراحل" لسعد الحميدين) (2007 م).

6 - شعريّة القصّ وسيميائيّة النصّ (تحليل مجهري لمجموعة " تفّاحة الدّخول إلى الجنّة ") (2014 م).

ويُعدُّ النّاقِد " عبد الملك مرتاض " رائد الاتّجاهات الجديدة في النّقد الأدبي الجزائري/تحصّل النّاقِد على دكتوراه الدّولة في الأدب من جامعة السّوربون في وقتٍ مبكّر (1983 م) ، بإشراف : (أندريه ميكائيل) ، وقد استطاع بحق بلورة منهج نقدي في تحليل الخطاب ، يغترف من أصوله الغربيّة ويتّكئ على الثّراث العربي . إنّ نظرة متفحّصة في مقدّمات كُتبه تؤكّد أنّه من أكثر النّقّاد العرب اهتماماً بالمنهج ، ولا يكاد يخلو الواحد منها من مقدّمة شافية تستوفي الإشكاليّة المنهجية حقّها من البسط والتّحليل [ثابت : [2007 م] ، 204 - 205] .

والواقع أنّ كُتبه تُشكّل مشروعاً نقديّاً ضخماً ، خاض في حقل اللسانيّات والسيميائيّات والتّفكيكيّة، مركّزاً على مبدأ التّوفيق بين الثّراث والحداثة ، وإيمان بانفتاح النصّ وتعدّدية القراءة للنّصّ الواحد ، والتّحليل المركّب الذي يسعى إلى الشّموليّة [مرتاض : [؟] ، 25 وما بعدها] . فالسيميائيّات « ليست تياراً واحداً منسجماً ، وليست فكرةً معزولة ، كما أنّها ليست نظريّة جاهزة محدّدة من خلال مفاهيم موحّدة وموحّدة . فالسيميائيّات في جميع الحالات هي بحثٌ في المعنى » [بنكراد ، 11-12] .

و« السيميائيّات هي كشف واستكشاف لعلاقات دلاليّة غير مرئيّة من خلال التّجليّ المباشر للواقعة . إنّها تدريب للعين على التقاط الضّمني والمتواري والمتمنّع ، لا مجرد الاكتفاء بتسمية المناطق النصيّة أو التّعبير عن مكوّنات المتن » [بنكراد ، 15] . وقد تشعّبت الدّراسات السيميائيّة وتنوّعت وظهرت داخلها

د . محمّد الحبيب منّادي ، ط . د . مرسلّي فايزة

تيارات ذهبت بالتّحليل في جميع الاتّجاهات ، ووسّعت من دائرته ليشمل كلّ المناطق التي تغطّي الوجود الإنساني ، بدءاً باللسان وانتهاءً بكلّ مظاهر السلوك الإنساني : اللغة واللباس والعلاقات الاجتماعيّة والطّقوس الأسطوريّة والدّينيّة « / بنكراد ، 11 / . والسّيميائيّات « تهتمّ بكلّ مجالات الفعل الإنساني : إنّها أداة لقراءة كلّ مظاهر السلوك الإنساني بدءاً من الانفعالات البسيطة ومروراً بالطّقوس الاجتماعيّة وانتهاءً بالأنساق الإيديولوجيّة الكبرى » / بنكراد ، 15 / . وقد تجلّت بوادر تأثر " عبد الملك مرتاض " ببعض هذه الاتّجاهات في تأثّره بسيميوطيقا " بيرس " ، وذلك في ترجمته مقالاً بعنوان : (الأصول السّيميائيّة في فكر شارل بيرس) ، وفي معالجته لمصطلحي (الرّمز) و (الإشارة) في كتابه (شعريّة القصيدة) / مرتاض : [1994 م] ، 238 - 241 / .

و« اعتمد النّاقّد [عبد الملك مرتاض] على السّيميائيّات الفرنسيّة بقوة ، إذ أضاء الكثير من المصطلحات استناداً على تعريفات (غريماس وكورتيس) في معجمهما المعقلن ، مثل " تقنيّات السّرد " و " العمل السّردى " كما اعتمد آراء (غريماس) في التّحليل المورفولوجي للسّرديّات ، وأفاد من منهج الإحصاء بوصفه نمطاً تحليليّاً في كتابه (تحليل الخطاب السّردى) / مرتاض : [1995 م] ، 26 - 29 / ، ومن أدوات إجرائيّة بارزة لدى (غريماس) مثل : " التّشاكل " و " التّبائن " في كتابه (التّحليل السّيميائي للخطاب الشعري) / مرتاض : [2001 م] ، 43 - 111 / ، كما ترجم مقالاً لتعلّق بالمرنّع " السّيميائي " الغريماسي (2001 م) / مرتاض : [1994 م] ، 102 / ، وأفاد من طروحات سيميائيّين آخرين أمثال : (بارط) (R.Barthes) و (أمبرتو إيكو) (A.Eco) وغيرهما / طواهريّة ، 102 / .

إشكالات تلقى مصطلحات المنهج السيميائي وتطبيقاته في النقد المغربي المعاصر
(قراءة في المنتج النقدي السيميائي لعبد المالك مرتاض نموذجاً).

1 - إشكالات مصطلحات التحليل السيميائي :

لا تخرج الإشكالات التي تعرفها مصطلحات " التحليل السيميائي " عن مجمل إشكالات المصطلح اللساني عموماً ، والتي يمكن أن نُشير إليها في النقاط الآتية :

1 - 1 - غلبة النزعة الفردية على معظم الواضعين ، فكل ناقد يعمل على وضع مصطلحاته الخاصة ، وفق فهمه للوافد منها ، وخلفيته الفكرية والإيديولوجية ، وبعض ملامح هذه النزعة الفردية لا يعدو كونه " سمة أسلوبية " يعمل " عبد الملك مرتاض " على أن يخصص بها دراساته وعموم كتابته ، ومن ذلك مثلاً ما نجده من مصطلحات تكاد تكون مصطلحات خاصة بعبد الملك مرتاض يذكرها في تحليلاته للنصوص السيميائية، منها : الـ " نصنصة " / مرتاض : [2010 م] ، [04] ، التي يُشير بها إلى تكوين النصّ ونشأته ، أو " التّمذّل " / مرتاض : [2010 م] ، [06] ، في مقابل (التّمغني) [باصطلاح أحد أصدقائه المغاربة] . أو حتّى في مجرّد التّعبيرات الخاصة كتلك التي نجدها في تعبير مثل : مُزدانةً ، مُزدهيةً ، " مُترهينةً " / مرتاض : [2010 م] ، [07] . ويمكن أن نضيف لهذا تصريحه برفض تقليد أيّ أحد من السيميائيين ، وأنّه يختار لنفسه منهجه وطريقته ومصطلحاته الخاصة فيقول : « [مذهبي السيميائي] يأبى أن يُقلّد أحداً من السيميائيين ، ولكن دون الخروج عن الخطّ العام لهذا الإجراء ، فتحليلاتي السيميائية للنصوص الأدبية ، شعراً وسرداً ، ليست قريماسيّة ، ولا بيرسيّة ، بل هي إبداعٌ سيميائي هُديتُ إليه من خلال تعاملّي مع النصوص الأدبية ، ولكن انطلاقاً من النّظرية العامّة السيميائية » / طواهرية ، [72 - 73] .

2 - 1 - التّعصّب القُطري للمصطلح ، فنجد المصطلح الوافد من الغرب يأخذ شكلاً في الدّرس العربي المغربي ، يُخالف ما قد يُوجد في الدّرس العربي عند

د . محمّد الحبيب منّادي ، ط . د . مرسلّي فايزة

المشاركة ، ويتعصّب كلّ فريق لما يضعه من المصطلحات ترجمة أو اشتقاقاً أو نحتاً ، ويضع لذلك من المبررات ما يُعزّز تعصّبه القطري ويزيد في إشكاليّة التّعاطي مع هذا الوافد المصطلحي .

3 - 1 - تعدّد الجهات الواضعة للمصطلح ، وهو الشّأن الذي نجده في اختلاف (المجامع اللغويّة ، والمؤسّسات والمعاهد العلميّة ، ...) التي يضع فيها كلّ واحد مصطلحه ، ممّا يحول دون توحيده .

4 - 1 - غياب التّعاون بين العلماء والمصطلحيّين ، وهو ما قد يشمل العلماء في التّخصّص الواحد بل وفي القطر الواحد ...

5 - 1 - اختلاف منهجيّات وضع المصطلح .

6 - 1 - اختلاف لغات المصدر عند نقل المصطلح من لغة لأخرى ، ومن ذلك ما

نجدّه - مثلاً - في السّيميوطيقا (*Sémiotique*) ، والسّيميولوجيا (*sémiologie*) . اللذان يترادفان على المستوى المعجمي ، حيث استعملتا في

الأصل للدّلالة على " علم الطّب وموضوعه دراسة العلامات الدّالة على المرض " .

ولاسيما في الثّراث الإغريقي ، حيث عدّت السّيميوطيقا جزءاً لا يتجزّأ من علم

الطّب ... والفرق الوحيد بين هاتين اللفظتين أنّ " السّيميولوجيا " مفضّلة عند

الأوروبيّين تقديراً لصياغة " سوسير " لهذه اللفظة ، بينما يبدو أنّ النّاطقين

بالإنجليزيّة يميلون إلى تفضيل " السّيميوطيقا " احتراماً للعالم الأمريكي " بيرس " .

لكنّ الصّيغة الثّانية " السّيميوطيقا " كتسمية لمجال هذا العلم هي التي أقرّت ،

أخيراً . وقد أخذ بها من قبل " المجمع الدّولي لعلم السّيميوطيقا " المنعقد بباريس

في شهر يناير سنة : 1969 م . ويُمكن القول إنّ السّيميولوجيا والسّيميوطيقا

كلمتان مترادفتان مهما كان بينهما من اختلافات دلاليّة دقيقة ، أي إنّ

السّيميولوجيا تصوّر نظريّ والسّيميوطيقا إجراءً تحليلي وتطبيقي .

إشكالات تلقى مصطلحات المنهج السيميائي وتطبيقاته في النقد المغربي المعاصر
(قراءة في المنتج النقدي السيميائي لعبد الملك مرتاض نموذجاً).

7 - 1 - وجود المرادفات في المصطلح الأجنبي ، وتعدّدها - بذلك - عند الترجمة .

ومن الإشكالات التي يذكرها " عبد الملك مرتاض " فيما يتعلّق بالتحليل النقدي ذاته في مخطوط له بعنوان : " تقويم النقد المكتوب عن الشّابي شاعراً ونائراً " تقدّم به إلى مؤسّسة جائزة الملك فيصل للإبداع الشّعري حين قال : « .. وأمّا تحليل النقد المكتوب ، في إطار نقدي منهجي ، أي في إطار ما يُطلق عليه في معجم المصطلحات النّقديّة الجديدة " نقد النقد " ، فذلك ما لمّا تُرسّ له قواعده بعد ، ولم تُوصّل له أصوله في مسار الفكر النقدي العربي المعاصر ، وهو مسعى على كلّ حالٍ عسير التّناؤل عسير المعالجة ، معتاص الممارسة .. » / خفيف : [1995 م] ، د .

ولعلّ هذا الاعتياص والتّأّي على الانقياد المنهجي في أيدي النّقاد يكمن فيما نجده من إشكالات المعنى ذاته ، فإذا اعتبرنا الدّرس السيميائي هو بحث في " المعنى " - كما أشرنا في تعريفه سابقاً - فإنّنا نجد أنّ " المعنى " ذاته بوصفه " مصطلحاً " يحمل العديد من الإشكالات في تعريفه ، فهو يُعدّ من أكثر المصطلحات التي اختلفت في تعريفها ، وذلك بسبب اختلاف اهتمامات الدّارسين له ، وتعدّد مجالات بحوثهم ، وهذا إضافة إلى كثرة المصطلحات المستعملة في هذا المجال والمرتبطة به . وبالرجوع إلى المعاجم العربيّة نجد التّعاريف الآتية : قال الفارابي : « معنى الشّيء ، ومعناته واحد ، ومعناه فحواه ، ومقتضاه ، ومضمونه ، وكلّ ما دلّ عليه اللفظ » [الغويل : [2011 م] ، 25] . وقال الزّبيدي : « عنوّ الشّيء ، أبديته وأظهرته ، وعنوّ به أخبرت ، وعنّت الأرض بالنّبات تعنى ، أظهرته حسناً » [الزّبيدي ، تاج العروس] . ومن هذين التّعريفين نجد أنّ المعنى لا يخرج عن كونه ، مضمون الكلام ، وفحواه ، ومقصده ، ومقتضاه ، وهو كلّ ما يؤدّي إلى إظهار دلالة اللفظ ليفهمه السّامع .

د . محمّد الحبيب منّادي ، ط . د . مرسلي فايزة

ويذهب " بلومفيلد " إلى أنّ المعنى عبارة عن الموقف الذي يتمّ فيه الحدث اللغوي المعيّن والاستجابة ، وردّ الفعل الذي يستدعيه هذا الحدث في نفس السّامع ، ويُفهم من هذا التعريف أنّ المعنى يفهم من خلال السّياق الذي يرد فيه . ويرى " فيرث " أنّ المعنى عبارة عن علاقات سياقيّة معقّدة ، تشترك فيها الأصوات والقواعد والمعاجم والدّلالة [أولمان : [1988 م] ، 61 - 67] . ويقصد من هذا التّعريف أنّ المعنى معقّد ولا بدّ من معاجم لشرحه ، وفهمه والدّلالة عليه من خلال التّمثيل له .

ومن إشكالات المصطلح ما يعترضه من إشكالات الدّلالة ذاتها ، والمتمثّلة

في الآتي :

1 - إشكاليّة الاشتقاق والتّرادف والتّضاد :

وقبل الخوض في هذه الإشكالات الدّلاليّة نُشير هنا إلى ما ذكره (سعيد جبر أبو خضر) ضمن العدد الثّالث من (المجلّة الأردنيّة في اللغة العربيّة وآدابها) في حديثه عن إشكاليّة تعريف مصطلح " المعجميّات " ذاته ، وهو الأساس في وضع المصطلح ، وقد ذكرنا في عنصر سابق (العنصر 02 من هذا البحث : تعريف المصطلح ونطاقه) أنّ المصطلح " يُخصّص الدّلالة المعجميّة " ، إذ يقول إنّه : " ليس أدلّ على هذا التّمييز للمعجميّات من تخصّص دوريات علميّة عالميّة في تقديم دراسات تتناول قضايا المعجميّات النّظريّة منها والتّطبيقيّة الفنّيّة ، مثل : (The Internationa Journal Of Lexicography) التي بدأت في الصّدور (1988 م) ، و (Fryske Akademy) التي تصدر غالباً باللغة الألمانية ، و (Lexikos) التي بدأت بإصدارها الجمعيّة الأفريقيّة للمعجميّات (AFRILEX) عام 1991 م ضمن سلسلة أطلق عليها آنذاك (AFRILEX) ثمّ اتّخذت عنوانها المذكور عام 1996 م ، والمجلّة الدّوليّة الموصولة بالحاسب (Ling Uistik online) ، أمّا في العربيّة فثمّة مجلّتان علميّتان متخصّصتان في قضايا

إشكالات تلقى مصطلحات المنهج السيميائي وتطبيقاته في النقد المغربي المعاصر

(قراءة في المنتج النقدي السيميائي لعبد المالك مرتاض نموذجاً).

المعجميات والمعجمية ، الأولى " مجلة المعجمية " التي تصدرها جمعية المعجمية العربية بتونس ، التي تأسست في : 09 / 11 / 1983 م بوصفها أول جمعية عربية تُعنى بقضايا المعجم وبحوث اللسانيات ، و" الدراسات المعجمية " التي تُصدرها الجمعية المغربية للدراسات المعجمية ، التي تأسست في : 23 / 07 / 1998 م . وهذا الاهتمام بالضبط المعجمي ليس مردّه مطلق التعدد بين هذه المجلات بل يعكس الصُعوبة التي تعرفها الألفاظ ذاتها في تغييرها الدائم باعتبارها " كائناً حياً " ينشأ وينمو ويموت !

ولا يُمكن أن يتم ذلك بمعزل عن الدلالة التي يحملها كل لفظ ، ولا عن الدلالة التي تُحدّد له بعد ذلك اصطلاحاً . وفي محاضرة للأستاذ " أحمد شفيق الخطيب " بعنوان : العربية ومشاكلها في مجال المصطلحات العلمية : (مناقشة حال هذه المصطلحات بين التعريب والوضع) ، أكّد على أنّ الإشكالات التي يضعها البعض على عاتق العربية ظلماً وزوراً يُمكن الردّ عليه ببساطة بقوله : " إنَّك لا تكاد تجد بين أمم العالم صغيرها وكبيرها أمّة تقدّم العلم لأبنائها بغير لغتهم سوى في عالمنا العربي المتعزّز ، فلا صعوبة كتابة اللغة اليابانية والصينية ، ولا صغر حجم بعض دول أوروبا ، ولا فقر بعض دول آسيا ، ولا شحّ مصطلحات اللغة التركية ، ولا موات اللغة العبرية طوال عشرين قرناً ، حالت دون أن تكون اللغة القومية هي لغة تدريس العلوم في تلك البلاد " . وهو يُشير في هذا إلى أنّ عائق التدريس عند البعض كان بسبب عدم قدرة اللغة العربية على وضع المصطلحات العلمية التي تستوعب جديد العلوم المختلفة ...

ويؤكّد صواب رأيه بمثال عمليّ عن إحدى الدُول الأوروبية بقوله : " في إحدى الدّوات أخبرنا زميل زار شمال أوروبا في جولة تربويّة ، في فنلندا ، أنه في إحدى المدن ، وسكانها لا يتجاوزون الرُّبع مليون ، 93 % منهم يتكلّمون الفنلندية

د . محمّد الحبيب منّادي ، ط . د . مرسلّي فايزة

و7 % يتكلّمون اللغة السّويدية - وكلتاها لغة رسميّة قوميّة هناك كليّتان للطّب - إحداها تدرس باللغة السّويدية والأخرى باللغة الفنلندية " . ويكفي في هذا الرّد على من يجعل إشكالات المصطلحات راجعةً لأسباب قطريّة أو عرقية ... وإن كان هذا سبباً في إشكاليّة وضع المصطلح فهو أبعد ما يكون عن اللغة العربيّة التي تمتلك إمكانيّة الاستحداث للمصطلح باعتماد الاشتقاق والتّرادف واستيعاب " المخترعات " ...

على أنّ هذه الميزة ذاتها أي ميزة الاشتقاق والتّرادف هي محلّ الإشكال لما يكون من الاشتراك في الدّلالة ، فضلاً عن تعدّد وتنوّع العوامل التي تقود إلى التّطوّر الدّلالي لمفردات اللغة ، حتّى مع الضّبط الدّقيق لها ، ويمكن تنظيم عوامل التّعدّد كالآتي :

01 - عوامل مقصودة وتتمثّل في الإجراءات التي تتّخذها المجامع اللغويّة في تحديد دلالات الألفاظ ، خاصّة التي يُشار بها إلى المستحدثات من مصطلحات علميّة وأسماء تتعلّق بالتّطوّر الحضاري .

وعوامل غير مقصودة (عوامل لا شعوريّة) ، ومنها العوامل الدّينيّة ، والفرديّة ، والتّاريخيّة ، والاجتماعيّة ، وكذا العوامل اللغويّة ، وعلى رأسها العوامل الصّوتيّة ..

وبالرّجوع إلى كتب اللغة نجد أنّ " الاشتقاق اللغوي " يُشكّل عمدة كبيرة في وضع المصطلحات لما تزخر به هذه الكتب من تحليل أنواع الاشتقاق ، الذي يُسمّيه عبد الله أمين ، الاشتقاق الصّغير ، والكبير ، والكبار ، والكُبّار ، (الأخيرتان أولاهما مخفّفة والأخرى مُشدّدة) . والذي يجعله " صبحي الصّالح " ، أربعة أنواع :

01 - الأصغروهو الصّرفي ،

02 - الكبير هو التّقليب ،

إشكالات تلقى مصطلحات المنهج السيميائي وتطبيقاته في النقد المغربي المعاصر
(قراءة في المنتج النقدي السيميائي لعبد المالك مرتاض نموذجاً) .

03 - الأكبر وهو الإبدال ،

04 - الكبّار وهو النّحت .

وهي كما ذكرنا منذ قليل عماد وضع المصطلح والذي يشكّل فيه الاشتقاق الصّرفي باباً واسعاً . على أنّها في الآن نفسه إشكاليّة تواجه المصطلح في بقاء دلالة اللفظ المشتق عنه مما قد يُوقع في اللبس الدّلالي ، لا سيما إذا عرفنا ما ذكره " ابن جيّ " عن القلب بعده من أبواب الاشتقاق ، وهو أمرٌ أشار إليه أستاذه " أبو عليّ الفارسي " ، وأنس له ، وأكّد " ابن جيّ " أنّ التّسمية له هو لا لأستاذه ، بحيث يعقد على الأصل وتقاليبه السّتّة معنى واحداً ، وإن تباعد من ذلك شيء ، رُدّ بلطف الصّنعة والتّأويل إليه .

على أنّ إشكاليّة المصطلح باعتماد الاشتقاق تبقى هيّنة إذ لا بُدّ من بقاء جذور المعنى في المصطلح ، باعتبار ما ذكرناه من كونه تخصيصاً لدلالة اللفظ في الأصل ، والذي يُشكّل إشكالاً كبيراً بل تحدّياً عند علماء المصطلح ما نجده في (التّرادّف والاشتراك والتّضاد) ، حيث :

- يُشكّل التّرادّف أحد أبرز مُشكلات هذا المجال البحثي الدّلالي والمعجمي والمصطلحي ، وقد وقع فيه الاختلاف بين اللغويّين قبل المصطلحيّين ، فمال بعضهم إلى الشّطط فيه ، واعتدل آخرون في تصوّره وتطبيقاته ، واشترط المحدثون : الاتّفاق في المعنى بين الكلمتين ، في أذهان مستعملي اللغة ، واتّحاد البيئة اللغويّة ، واتّحاد العصر أو التّزامن ، وأن لا يكون أحدُ اللفظين ، نتيجة تصوّر للفظ الآخر .

- أمّا المشترك اللفظي : فهو التّقاء الألفاظ مع اختلاف المعاني ، واللغويّون منه على فريقين : منهم المُنكر له ، ومنهم المقرّ . وهو في اصطلاح القدامى « اللفظ الواحد الدّال على معنيين مختلفين فأكثر ، دلالة على السّواء عند أهل اللغة » .

د . محمّد الحبيب منّادي ، ط . د . مرسلّي فايزة

أي إنّ المشترك اللفظي هو اللفظ الذي يدلُّ على أكثر من معنى . أو أنّه دلالة اللفظ الواحد على معنيين مستقلّين فأكثر ، دلالة متساوية على سبيل الحقيقة لا المجاز ، كدلالة لفظ (العين) على :

عين الإنسان التي ينظرُ بها .

وعين البئر = مخرج مائها .

والعين = الميل في الميزان .

والعين = النّقد من الدّراهم .

والعين = مطرأيّام لا يُقلع .

والعين = السّيء نفسه .

والعين = عين اللصوص .

والعين = العين التي تُصيب الإنسان .

والعين = فم القربة .

والعين = حرفٌ من حروف المعجم .

والعين = سنام الإبل .

وهناك العديد من أمثلة العين [أبو محمّد الحسن بن محمّد بن عبد الرّحمن :

[؟] ، 195] .

وتُعدُّ ظاهرة المشترك اللفظي مشكلةً من مشاكل العلاقات الدلاليّة ، مصطلحٌ يطلقه الدّرس الحديث على ظواهر متعدّدة ، تشرح العلاقات بين الكلمات في اللغة الواحدة ، ومن نواحٍ عدّة ، نحو أن يكون معنيان أو أكثر للفظ واحد ، فتسمّى العلاقة هنا (المشترك اللفظي) ؛ لكونها تسير خلافاً للوضع المثالي للغة ، الذي يقتضي أن يكون للفظ الواحد معنى واحداً ، وللمعنى الواحد لفظاً واحداً ، ومنهج عرض ظاهرة المشترك اللفظي عند القدماء والمحدثين ، يقوم على أساس تفكيكها ، والإطّلاع على أسسها العلميّة؛ ليتمّ إعادة تشكيلها تشكيلاً يحفظ

إشكالات تلقى مصطلحات المنهج السيميائي وتطبيقاته في النقد المغربي المعاصر

(قراءة في المنتج النقدي السيميائي لعبد المالك مرتاض نموذجاً) .

لها طابعها المعرفي الأصيل، برؤى تتطلع إلى استفادة تخدم العصر ، وتحرك فاعلية تلك الأصول التراثية الدلالية ، وتساعد على تنمية قدراتها في عصرنا ، خاصة إذا علمنا أن المشترك اللفظي يرتبط بعلم الدلالة حديثاً ، الذي يلقي من بالغ الاهتمام في عصرنا في كل أنحاء العالم ، ما يجعله نقطة التقاء لأنواع من التفكير الإنساني ، يقول (ليش: Leach) : السيمانتيك نقطة التقاء لأنواع من التفكير والمناهج : مثل: الفلسفة ، وعلم النفس ، وعلم اللغة ، وإن اختلفت اهتمامات كلٍ لاختلاف نقطة البداية / كودرزوي ، (فاطمة لطفي -) ، موقع : <http://islamselect.net/mat/878840> .

لبقى " التَّضَاد " ، وهو دلالة اللفظ الواحد على معنيين متقابلين بمساواة بينهما ، ومن أمثلته : (الجون) للأبيض والأسود ، و (الجلل) للصغير والعظيم و (الصَّارِخ) للمغيث والمستغيث . وهو عند القدماء لَوْنٌ مُشْتَرِكٌ ، وقد عدّه علماء اللغة نوعاً من المشترك لدلالة اللفظ الواحد على أكثر من معنى ، من حدوده عند المعتدلين - ومنهم السُّيُوطِي - أنه : " إذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فمحال أن يكون العربي أوقعه عليها بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحي من العرب ، والمعنى الآخر لحي غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض ، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، قالوا : " فالجون الأبيض في لغة حي من العرب ، والجون الأسود في لغة حي آخر ... والسُدفة في لغة تميم الظُلْمة ، والسُدفة في لغة قيس : الضَّوء " .

وقالوا : المشترك يقع على شيئين ضدين ، وعلى مختلفين غير ضدين ، فما يقع على الضدين كالجون والجلل ، وما يقع على غير الضدين كالعين ، وإذا جاز وُقُوع الواحدة للشيء وخلافه جاز وقوعها للشيء وضده إذ الضد ضرب من الخلاف [السُّيُوطِي ، 177] .

د . محمّد الحبيب منّادي ، ط . د . مرسلّي فايزة

وإذا كان لنا أن نبحث فيما تقود إليه هذه الإشكالات من صعوبة في المصطلح فهو ما نجده في عند " علي القاسمي " وما حدّده من صعوبات : على ما يذكره " البشير النظيفي " بقوله : " تعود صعوبة التّأليف في علم المصطلح إلى كونه علماً مشتركاً بين سبعة علوم هي كما يوضحها المؤلّف (ويقصد هنا علي القاسمي) في مقدّمة كتابه : علم المفهوم ، وعلم اللغة ، وعلم العلامات (السّيميائيات) ، وعلم التّرجمة ، وعلم الحاسوب ، وعلم التّوثيق ، وصناعة المعجم . فعلم المصطلح يُعرّف بأنّه : " الدّراسة العلميّة للمفاهيم وللمصطلحات التي تعبّر عنها " وغرضه إنتاج معاجم مختصّة ، وهدفه توفير المصطلحات العلميّة والتّقنيّة الدّقيقة التي تيسّر تبادل المعلومات ، وغايته نشر المعرفة العلميّة لإيجاد مجتمع المعرفة القادر على تحقيق التّنمية البشريّة / النظيفي / .

ولمتابعة هذه الإشكالات ووضع حلول لها تشكّلت هيئات علميّة محليّة ودوليّة تتولّى متابعة شؤون المصطلح ووضعه وما يطرأ عليه من تغيّرات دلالية وما يقوم عليه من خصائص إبستيميّة ، ومن تلك الهيئات : (مدرسة فينا) ، و (مدرسة براغ) ، ومدرسة (كندا) ، هذه الأخيرة التي بادرت إلى إنشاء بنكٍ للمصطلحات ، كما قامت (دائرة اللغة الفرنسيّة) في مقاطعة كيبيك بنشاط كبير في الأبحاث المتعلّقة بعلم المصطلح ، وعقدت عدداً من المؤتمرات الدوليّة لبحث قضايا هذا العلم ومشكلاته ، كما بادرت عام 1973م إلى إصدار دوريّة متخصصة في المصطلحيّة عنوانها " الوقائع المصطلحيّة " .

ويلخص الدكتور أحمد مطلوب ، الأمين العام للمجمع العلميّ العراقيّ ، الشروط الواجب توفرها في المصطلح والتي يمكن أن نستشفّها والمتمثّلة فيما يأتي

01 - اتفاق العلماء عليه للدّلالة على معنى من المعاني العلميّة ،

02 - اختلاف دلالاته الجديدة عن دلالاته اللغويّة الأولى .

إشكالات تلقّي مصطلحات المنهج السِّيميائي وتطبيقاته في النّقد المغربي المعاصر
(قراءة في المنتج النّقدي السِّيميائي لعبد المالك مرتاض نموذجاً).

03 - وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلوله الجديد ومدلوله اللغويّ (العام) " [مطلوب: [2002 م] ، 8] .

ونختتم بحثنا بجهود عبد الملك مرتاض في ترجمة وتعريب المصطلح السِّيميائي ، وهو ما يعكس وجود " إشكاليّة المصطلح السِّيميائي " في طليعة انشغالاته ، إذ اهتمّ به اهتمامه بالمنهج النّقدي ، لأنّ " المصطلح " هو لبّ المنهج . ومن المصطلحات السِّيميائيّة الأكثر دوراناً في مدوّنته النّقديّة ، نجد : (السِّمة ، السِّيميائيّة ، الحِز ، الماثل ، والأيقونة) [مرتاض : [1995 م] ، 18 - 22] .

السِّمة (Signe) :

هو مصطلح منحدر عن اسم لاتيني (Signum) مرادف للعلامة والإشارة ، وهي شيء مدرك يُمكن أن نستخلص منه توقّعات وإشارات خاصّة بشيء آخر ، غائب ومرتبطة به [/يكو ، 36] . والمصطلح عربي ، ذكره " ابن منظور " في مادّة (سَوَم) : " السُّومة والسِّمة والسِّيمياء والسِّيمة : العلامة " [ابن منظور ، 153] .

وقد عُني " عبد الملك مرتاض " بهذا المصطلح ، وأفرد له صفحات عدّة من كُتبه ومقالاته وحدّده عبر محوري الثُّراث والحداثة ، حيث أرجع المفهوم إلى العرب ، معتمداً التّعريف الذي جاء في (الصِّحاح) على أنّه العلامة ، واستند على تعريفات حدائيّة أخرى ، على غرار تعريف " غريماس " لمفهوم السِّمة على أنّها : " شيء جيء به ليمثّل شيئاً آخر " [Courtés et Greimas , 1972 , 350] .

واعتبره تعريفاً جامعاً مانعاً ، لم يخرج عنه العرب القُدّامى . غير أنّه أثر مصطلح السِّمة على مصطلح العلامة ، لأسباب منها أنّ العلامة استعملت في الفكر النّحوي بمعنى اللاحقة التي تلحق الأفعال والأسماء دون الحروف ، فتستحيل من حال إلى حال ، للّهوض بوظيفة دلاليّة يقتضيها المقام [نقلا عن : مرتاض ، 148] .

د . محمّد الحبيب منّادي ، ط . د . مرسلّي فايزة

وقد عالّج جوانب الاضطراب الحاصل في مفهوم (السِّيميائية) ، عند الدّارسين العرب وفي الأوساط الجامعيّة ، إذ وضّح أنّ منظري السِّيميائيات العرب أخذوا مصطلح (السِّيميائية) من (السِّمياء) التي وردت في المعاجم العربيّة ، وأضافوا لها الياء الصّناعيّة ، فانتقدهم لاختيارهم أطول الألفاظ الثلاثة (السِّما ، والسِّماء ، والسِّمياء) ليلحقوا بها الياء الصّناعيّة ، كما بيّن اللحن الذي يقع فيه مستعملو صيغة (سيميائيات) بالجمع بين ساكنين . فيما أثر هو استعمال صيغة : (السِّيميائية) الآتية من (السِّمياء) ، والذي وظّفه في عناوين كتبه [نقلا عن : مرتاض ، 157 وما بعدها] .

الحيز (Espace) :

« يبدأ " مرتاض بالحديث عن الحيز - لأوّل مرّة - في كتابه (الألغاز الشعبيّة الجزائريّة) " ، وقد سعى إلى استثماره واتّخاذه أداة قرائيّة ، تلفت الانتباه إلى جانب مهمّ أغفلته الدّراسات التّقليديّة » [مونسي : 2002 م] ، 117 . وقد خصّص التّأقّد فصلاً كاملاً لبسط مفاهيمه في كتابه (نظريّة النّص الأدبي) ، وهو كعادته ينطلق من الثّراث ، ويقتبس نصّاً (لابن منظور) في تعريف الحيز ، فهو مشتقّ من الاحتياز بمعنى امتلاك الشّيء وسوقه ليُصبح شخصيّاً ، كما يُبيّن أصله الواوي عند النّحاة (الحيزن) [ابن منظور : 12 : 02] ، ثمّ يتوسّع في تأصيل هذا المفهوم ، فيوضّح أصله اللاتيني (Spatium) ، ومفهومه عند الفلاسفة كونه : « الوسط المثالي الذي يتجسّد بخارجيّة أقسامه ، وفيه تتمركز مدركاتنا الحسيّة ، وهو يحتوي نتيجة لذلك كلّ الامتدادات الهائيّة » [لالاند ، (أندريه -) ، 02 : 362] ، ثمّ يعرّج على التّأصيل له في الكتب العربيّة القديمة ، ومنها (البيان والتّبيين) ، فقد فهم من قول (الجاحظ) : « المعاني مطروحة في الطّريق » [الجاحظ ، 01 : 76] ، أنّه يُريد التّحدّث عن الحيز الأدبي باعتباره معاني مفتوحة وممتدّة [مرتاض ، 303 - 304] . ثمّ

إشكالات تلقى مصطلحات المنهج السيميائي وتطبيقاته في النقد المغربي المعاصر
(قراءة في المنتج النقدي السيميائي لعبد المالك مرتاض نموذجاً).

ينتقل إلى عرض مفهوم الحيز في النقد الغربي الجديد ، مستهلاً بمناقشة هذه المسألة مع (مورييس بلانشو) (M.Blanchot) الذي تميّز بالكتابة عن الحيز الأدبي ، إذ يتمظهر من خلال رغبة الأديب في قول كل شيء في إبداع واحد ، إلا أن ذلك لا يُنجز إلا ضمن لانهائية الإبداعات ، فالحيز الأدبي مفتوح على مصراعيه / مرتاض ، 315 - 316] .

أمّا مفهوم الحيز عند النّاقّد نفسه فهو : « كُلُّ ما يُمكن أن يكون حجماً أو وزناً أو امتداداً أو متّجهاً أو حركة في سلوك الشّخصيّات ، أو في تمثّل النّصّ الذي يتعامل مع هذا الحيز ... » [مرتاض ، 301] . وقد عدل عن اصطناع مصطلح (الفضاء) لأنّ الفضاء عامٌّ اتّسع انتشاره في حقول معرفيّة معاصرة ، فالحيز عنده هو الفضاء الأدبي نفسه [مرتاض ، 297 - 298] . والطّريف في الأمر ، تلك الاشتقاقات التي يصطنعها النّاقّد من مصطلح الحيز للدّلالة على معاني قريبة من مفهومه ، مثل (التّحايز) الذي قاسه على (التّشاكل) و (التّماثل) ، ويعني تبادل الحيز مع صنوه وظائف التّفاعل والتّدخل والتّخاطب ، ومثل مصطلح : (الحيزيّة) وهي جهاز لإفراز الحيز [مرتاض ، 39] . وتعبّر عن بصمته الخاصّة في اشتقاق المصطلح .

المماثل (الأيقونة) (Icon) :

بيّن " عبد الملك مرتاض " الأصل في الاستعمال الدّارج لمصطلح (الأيقونة) لدى النّقّاد الحداثيّين الذين اصطنعوه كما جاء في أصله في اللغات العربيّة ، والمنحدر من اللغة الإغريقيّة ، وأشار إلى أوّل من اصطنعه مصطلحاً سيميائياً هو (بيرس) الذي عرّفه بعلاقته الشّبيهة مع العالم الخارجيّ ، وهي العلاقة التي تجسّد امتلاك الخصائص نفسها بالقياس إلى النّبيء المدلول عليه بذاته ، كالخريطة الجغرافيّة التي هي أيقونة (مماثل) للبلد الذي تجسّده على الورقة . والمماثل هو

د . محمّد الحبيب منّادي ، ط . د . مرسلّي فايزة

السَّيِّء الذي يماثل الآخر في العالم الخارجي ، أي الصُّورة الحاضرة المطابقة للغائبة كانعكاس الوجه على المرآة / مرتاض ، 30 - 31 / . وقد اصطنع النّاقِد في بعض تعابيرهِ مصطلح (التَّمائُل) ليتَّفَق في الوزن مع (التَّشَاكُل والتَّبَايُن) من جهة ، ثمَّ لمحاولة إعطائه دلالة جديدة ، توجي بالقدرة على التَّفَاعُل مع العناصر السِّيميائية الأخرى / مرتاض ، 33 / . « تأتي إشكاليّة المصطلح السِّيميائي في طليعة انشغالات " عبد الملك مرتاض " ، إذ يهتمّ به اهتمامه بالمنهج النّقدي . وفي ذلك نجده يُوظّف ثروته اللغويّة التي تمتدُّ قواعدها إلى الموروث العربي ، ويخوض في تفرُّعات المصطلح ، محكوماً بالحدود العامّة التي وضعها البلاغيُّون ، والنَّحويُّون ، والسِّيميائيُّون الغربيُّون أيضاً ، وينحت مصطلحاته بخصوصيّة وتفرّد . أمّا بخصوص ترجمة الأعمال السِّيميائيّة الغربيّة ، فلم يُقدِّم فيه الشَّيء الكثير . » [طواهرية : 2015 م] ، 184 / .

خاتمة :

في ختام هذا البحث الذي أردنا أن تكون مادّته وصفيّةً بحثة بوضع مقال عن المصطلح وإشكالاته ، والذي اكتفيناه فيه بالمنهج الوصفي تركيزاً على مادّته التي أجبنّا فيها عن إشكالاته المجملّة في تلك الأسئلة الثلاث الواردة في ملخّصه ، ونُضيف لها ختاماً أنّ للمصطلح نظريّة عامّة ، يتركّز البحث فيها حول : طبيعة المفاهيم ، وتكوينها ، وخصائصها ، والعلاقة بينها ، ثمَّ العلاقة بين المفهوم والشَّيء المخصوص ، وتعريفات المفاهيم ، وكيفيّات تخصيص المفهوم للمصطلح ، والمصطلح للمفهوم ، ثمَّ طبيعة المصطلحات ووضعها . ونعني بوضع المصطلحات وإعدادها كلّ ما يتّصل بجمع المصطلحات في حقل من الحقول العلميّة ، وتحليلها ، وتنسيقها ، ومعرفة مرادفاتها ، وتعريفاتها باللغة ذاتها ، أو مقابلاتها بلغة أجنبيّة ، أو لغات أجنبيّة أخرى ؛ وكذلك جمع المفاهيم الخاصّة بذلك الحقل ، ودراسة

إشكالات تلقى مصطلحات المنهج السيميائي وتطبيقاته في النقد المغربي المعاصر
(قراءة في المنتج النقدي السيميائي لعبد المالك مرتاض نموذجاً).

العلاقات القائمة بينها ، ثم وصف الاستعمال الموجود فعلاً للتعبير عن كل مفهوم بمصطلح واحد أو تخصيص مصطلح معين للمفهوم الواحد .

لنبين أن ميدان " المصطلحية " يضم أصنافاً ثلاثة من الدرس ، هي :

01 - علم المصطلح الذي يُعنى بدراسة المفاهيم والعلاقات الوجودية والمنطقية بينها ، والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها ،

02 - صناعة المصطلح التي تدور حول نشر المعاجم المتخصصة ، الورقية منها والإلكترونية ،

03 - البحث المصطلحي الذي يتناول تاريخ علم المصطلح ، والمدارس المصطلحية ، وتوثيق المصطلحات والمؤسسات المصطلحية والمصطلحيين ، والتدريب في المصطلحية ، وما إلى ذلك .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبيّنا محمّد وآله .

د . محمّد الحبيب منّادي ، ط . د . مرسلّي فايزة

قائمة المصادر والمراجع :

01 - أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحيّة (2005 م) ، الكتاب الطيّ الجامعي ، علم المصطلح لطلبة العلوم الصحيّة والطبيّة ، البرنامج العربي لمنظمة الصحة العالمية ، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط ومعهد الدراسات المصطلحيّة ، بفاس ، المملكة المغربية .

02 - أولمان ، (ستيف -) : (1988 م) ، دور الكلمة في اللغة ، ترجمة : محمّد بشر ، د . ط ، مكتبة الشّباب .

03 - بنكراد ، (سعيد -) : (2012 م) ، السّيميائيات ، مفاهيمها وتطبيقاتها ، دار الحوار للنشر والتّوزيع ، اللاذقيّة ، سورية .

04 - ثابت ، (طارق -) : (2007 م) ، عبد الملك مرتاض وجهوده في التّنظير لتحليل الخطاب الأدبي (المنهج السّيميائي نموذجاً) ، مجلّة الأثر ، العدد : 11 ، فيفري 2007 م ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، الجزائر .

05 - الجرجاني ، (علي بن محمد -) : (1983 م) ، التّعريفات ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان .

06 - خفيف ، (علي -) : (1995 م) ، التّجربة النّقديّة عند عبد الملك مرتاض ، إشراف : د . عبد المجيد حنون ، رسالة مقدّمة لنيل شهادة ماجستير في الأدب العربي (تخصّص : النّقد الأدبي) ، معهد اللغة العربيّة وآدابها ، جامعة باجي مختار عنّابة ، الجزائر .

07 - الزبيدي ، (مرتضى -) : (؟) ، تاج العروس ، تحقيق : مصطفى حجازي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت .

08 - السّيوطي ، (جلال الدّين -) : (؟) ، المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، مطبعة محمد صبيح ، القاهرة ، مصر .

إشكالات تلقى مصطلحات المنهج السيميائي وتطبيقاته في النقد المغربي المعاصر
(قراءة في المنتج النقدي السيميائي لعبد المالك مرتاض نموذجاً) .

09 - طواهرية ، (سامية -) : (2015 م) ، التفكير السيميائي عند عبد الملك مرتاض (مقارنة وصفية) ، إشراف : د . محمد الأمين خلّادي ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الأدب العربي (تخصص : الجهود اللغوية والأدبية عند الجزائريين إبان القرنين التاسع عشر والعشرين) كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة أدرار ، الجزائر .

10 - الغويل ، (مهدي إبراهيم-) : (2011 م) ،

السياق وأثره في المعنى ، د . ط ، دار الكتاب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا .

11 - فاخوري ، (عادل -) : (1990 م) ، تيارات في السيميائية ، ط 01 ، دار الطليعة للطباعة ، بيروت ، لبنان .

12 - قشمر ، (علي لطفي علي -) و أبو حجلة ، (هنادي عبد المهدي-) : (2019 م) ، إشكالية مصطلحات التراث العربي الإسلامي وطرائق معالجتها ، مجلة آفاق للبحوث والدراسات أساسية ، دولية محكمة ، المركز الجامعي إيليزي ، العدد : 04 ، جوان 2019 م .

13 - الكفوي ، (أبو البقاء -) : (1992 م) ، الكليات ، تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، دمشق ، سوريا .

14 - كودرزي ، (فاطمة لطفي-) : (؟) ، المشترك اللفظي عند القدماء والمحدثين ، موقع : <http://islamselect.net/mat/> : 878840 .

15 - لالاند ، (أندريه -) : (؟) ، موسوعة لالاند الفلسفية ، تعريب : خليل أحمد خليل ، ط 02 ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان .

16 - مرياتتي ، (محمد -) : (2004 م) ، المصطلح في مجتمع المعلومات : أهميته وإدارته ، من بحوث المؤتمر الثالث لمجمع اللغة العربية بدمشق ، أكتوبر/ تشرين الأول 2004 م .

د . محمّد الحبيب منّادي ، ط . د . مرسلّي فايزة

17 - مرتاض ، (عبد الملك -) : (1994 م) ، شعريّة القصيدة - قصيدة القراءة (تحليل مركّب لقصيدة أشجان يمانيّة) ، د . ط ، دارالمنتخب العربي ، بيروت ، لبنان .

18 - مرتاض ، (عبد الملك -) : (1995 م) ، تحليل الخطاب السّردي (معالجة تفكيكيّة سيميائيّة مركّبة لرواية " زقاق المدقّ " لنجيب محفوظ) ، د . ط ، ديوان المطبوعات الجامعيّة .

19 - مرتاض ، (عبد الملك -) : (2001 م) ، التّحليل السّيميائي للخطاب الشّعري (تحليل مستوياتي لقصيدة " شناشيل ابنة الجلي ") ، د . ط ، دار الكتاب العربي ، الجزائر .

20 - مرتاض ، (عبد الملك -) : (2010 م) ، نظريّة النّص الأدبي ، ط 02 ، دارهومة للطباعة والنّشر والتّوزيع ، الجزائر .

21 - مطلوب ، (أحمد -) : (2002 م) ، في المصطلح النّقدي ، المجمع العلمي ، بغداد ، العراق .

22 - مرتاض ، (عبد الملك -) : (1995 م) ، التّحليل السّيميائي للخطاب الشّعري ،

23 - مقران ، (يوسف -) : (؟) ، " خطاب " اللغة المتخصّصة ، ببييرلوراه (Pirre Lerat) . على موقع :

<https://revue.ummt0.dz/index.php/khitab/article/download/640/484>

24 - ابن منظور : (؟) ، لسان العرب ، دارصادر ، بيروت ، لبنان .

25 - مونسي ، (حبيب -) : (2002 م) ، فعل القراءة (النّشأة والتّحوّل) ، مقارنة تطبيقيّة في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض ، د . ط ، منشورات دار الغرب ، وهران ، الجزائر .